الأهرام

٦٥/١/١٠

موسيقى

يكتبها
سليمان جميل

"أم كلثوم" .. بين اللحن القديم واللحن الجديد لقصيدة "أراك عصي الدمع"

اثارت اغنية ام كلثوم الجديدة « **اراك عصي الدمع** » أسئلة خاصة باللحن ، وأسئلة أخرى خاصة بشخصية أم كلثوم الموسيقية . والاسئلة هي أولا .. لماذا استخدم **رياض السنباطي** آلة البيانو في المقدمة الموسيقية ثم اختفى صوت البيانو تماما بعد ذلك من التكوين اللحني للاغنية ؟ ثانيا .. ما هو الفرق بين اللحن القديم لاغنية « اراك عصي الدمع » وبين اللحن الجديد الذي قدمه لنا رياض السنباطي ؟ ثالثا .. اذا كانت شخصية ام كلثوم الموسيقية هي صوت وأسلوب ، فما هي العناصر المميزة في صوتها واسلوبها الموسيقي؟ ان الاجابة عن السؤال الاخير هي مفتاح الاجابة عن السؤالين الاول والثاني ولذلك سأبدأ بها

والان ما هي شخصية ام كلثوم الموسيقية ؟ ان اول عناصر هذه الشخصية هو الصوت ، وصوت ام كلثوم له مساحة من درجات الانغام يمكن قياسها « بأوكتافين » اي عدد (٢) اوكتاف وكلمة اوكتاف معناها مساحة صوتية من (٨) درجات نغمية والحقيقة ان مساحة الصوت في حنجرة ام كلثوم ، والتي تبلغ حوالي (١٦) درجة نغمية ، تمتاز بان كل نغمة فيها تخرج كاملة الوضوح وذلك من اول نغمة منخفضة في قرار مساحة الصوت ، الى آخر نغمة حادة ، في قمة هذه المساحة الصوتية . المهم ان صوت ام كلثوم لا نعرفه فقط بتقدير مساحته ، وانما ايضا بقدرته على اداء الحركة الموسيقية ، اى الانتقال من نغمة الى نغمة اخرى . والمفروض ان كل اصوات المغنين ـ لكي يتم صقلها ـ لابد من تدريبها على تركيز الصوت والانتقال بين درجات السلم الموسيقي صعودا وهبوطا ، وطبعا في حدود مساحة الصوت التي تولد كامكانية طبيعية في حنجرة المغني

وام كلثوم اكتسبت صنعة الاداء من المصادر الاتية : اولا .. التدريب العملي على القاء القرآن المنغم ، وايضا اداء الحان الموشحات الدينية ثانيا .. التدريب العملي على اداء الحان القصائد والطقاطيق ، ثالثا .. التدريب العملي على اداء الحركات اللحنية في اغنيات القرية ، وعلى الاخص الحركات اللحنية التي يتكون منها « الموال » . ولم تصل ام كلثوم الى ما وصلت اليه الان من مهارة في اخراج الصوت الموسيقي في انغام محددة واضحة ، او في شكل قفزات سليمة بين درجات الانغام ، الا بعد مران طويل ، والدليل على ذلك اننا لو رجعنا الى الماضي لنستمع الى الالحان الاولى التي سجلتها ام كلثوم في طفولتها ، سنلاحظ ان ذبذبات الصوت كانت تنطلق من حنجرتها دون ان تحدد درجات ثابتة للانغام ، وهكذا يمكن ان نعتبر بعض الحان ام كلثوم الاولى مجرد تدريبات لتركيز الصوت . والان بعد ان عرفنا مساحة الصوت في حنجرة ام كلثوم ، وعرفنا مصادر تدريب هذه الحنجرة لاكتساب القدرة على اداء النغم الصحيح ، لا ننسى ان ام كلثوم ظلت ، طوال عمرها الموسيقي ، تستلهم اشكالا متنوعة للحركات الصوتية من خيالها الموسيقي وتجسدها بحنجرتها وخيال ام كلثوم الموسيقي هو المدخل الى حديثنا عن اسلوبها . انها تبتكر خطوطا من الالحان بسهولة وبدون

تحضير سابق ، انها بذلك تتمتع بموهبة ارتجال اللحن ويساعدها على ذلك ان حنجرتها تدربت على تجويد النغم ، وام كلثوم لا تستعرض عضلات حنجرتها وانما تستخدم قدرتها على اخراج الصوت وتلوينه لخدمة التعبير الموسيقي ، وقد يقال ان الحركات اللحنية التي صقلت حنجرة ام كلثوم في مرحلة التدريب اصبحت قوالب موسيقية متكررة وان هذه القوالب هي التي تخطىء وتقول عنها انها خيال موسيقي خصب تتمتع به ام كلثوم . والحقيقة الموسيقية غير ذلك ، لاننا بالاستماع الى مئات الاغاني التي غنتها ام كلثوم ، سنلمس الاختلاف في تكوين الالحان ولونها النغمي وروحها الايقاعية ، واقصد الالحان التي ارتجلتها من وحي خيالها الموسيقي في مختلف الاغاني . ولم يحدث ، حتى الان ، ان قدم احد الموسيقيين عندنا دراسة في اسلوب الارتجالات اللحنية سواء اسلوب المغني او العازف الشعبي ، والفرق بين اسلوب الارتجالات اللحنية والتلحين هو الفرق بين ابداع لحن وابداع شكل موسيقي محدد من هذا اللحن . وهكذا نعرف ان التلحين هو تأليف تكوين موسيقي من الالحان وهكذا ايضا يصبح للاغنية قالب محدد يختلف عن قالب المرحلة الغنائية مثلا . ان ام كلثوم الشخصية الموسيقية ، لها اثر عميق في نفوسنا لانها صوت صقلته تجربة موسيقية مصرية اصيلة ، هذه التجربة بدأت بابعاد اصوات ترتيل القرآن ، ومجموعة الحان الموشحات والقصائد الدينية ، وارتجالات مغني الموال في القرية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية